القضية الفلسطينية

خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة

تأليف
أ. د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة 2022

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الثاني

فلسطين تحت الاحتلال البريطاني
1948–1918

فلسطين تحت الاحتلال البريطاني 1918–1948

مقدمة:

• إدموند اللنبي

أتم البريطانيون احتلال جنوب فلسطين ووسطها في كانون الأول/ ديسمبر 1917، واحتلوا القدس في 1917/12/9. وخطب قائد الجيش البريطاني اللنبي Allenby في القدس محتفلاً بانتصاره قائلاً: "والآن انتهت الحروب الصليبية"[1]، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من 800 سنة. وفي أيلول/ سبتمبر 1918 احتل البريطانيون شمال فلسطين، كما احتلوا في أيلول/ سبتمبر – تشرين الأول/ أكتوبر 1918 شرق الأردن وسورية ولبنان. ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص سايكس–بيكو، مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق بزعامة فيصل بن الشريف حسين، حتى تتمكن فرنسا من احتلال سورية.

وفَّرت بريطانيا لنفسها غطاءً دولياً باستصدار قرار من عصبة الأمم في 1922/7/24 بانتدابها على فلسطين، وتمّ تضمين وعد بلفور في صكّ الانتداب، بحيث أصبح التزاماً رسمياً معتمداً دولياً. غير أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها عصبة الأمم، كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنَيل استقلالها. وقد تضمن صكّ الانتداب نفسه على فلسطين مسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) في الارتقاء بمؤسسات الحكم المحلي، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين. وهذا يعني ألا يقف وعد بلفور في نهاية الأمر عائقاً في وجه أبناء فلسطين ضدّ الارتقاء بمؤسساتهم وإقامة دولتهم. وكان تنفيذ وعد بلفور يعني عملياً الإضرار بمصالح أهل فلسطين وحقوقهم، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية باتجاه إقامة دولتهم. وقد فضلت بريطانيا دائماً التزام الشق المتعلق بوعد بلفور، وأصمَّت آذانها ولم تحترم الشق المتعلق بحقوق أبناء

فلسطين العرب الذين كانوا يمثلون نحو 92%[2] من السكان عند بداية الاحتلال. وربما أرادت بريطانيا من إيجاد نصوص متعلقة بحقوق الفلسطينيين إظهار نفسها بمظهر الحكم العادل بين الطرفين العربي واليهودي، وتشجيع الفلسطينيين على المطالبة بحقوقهم وفق أساليب مدنية "دستورية"، وعدم إغلاق كافة المنافذ أمامهم، بحيث لا يصلون إلى درجة الانفجار والثورة بسرعة، في الوقت الذي تقوم فيه بالتسويف والمماطلة، ريثما يتم لها ترسيخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

• آرثر واكهوب

وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري حتى نهاية حزيران/ يونيو 1920، ثم حولتها إلى الحكم المدني، وعيَّنت اليهودي الصهيوني هربرت صمويل أوّل "مندوب سامٍ" لها على فلسطين (1920–1925) حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض. وتابع المندوبون "السامون" المسيرة نفسها، غير أن أكثرهم سوءاً ودهاءً ونجاحاً في التنفيذ كان آرثر واكهوب Arthur Wauchope (1931–1938) حيث وصل المشروع الصهيوني في عهده إلى درجات خطيرة.

أولاً: تطور المشروع الصهيوني:

وعلى أي حال، فقد عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحُرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحُكْم أنفسهم، ووُضعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأُعطي المندوبون السامون صلاحيات مطلقة. وضيَّقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وشجعت الفساد، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم. وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من 55 ألفاً (8% من السكان) سنة 1918 إلى 646 ألفاً (31.7% من السكان) سنة 1948. وبالرغم من الجهود اليهودية – البريطانية المضنية للحصول على الأرض، إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو 6% من فلسطين بحلول 1948، كان معظمها إما

أراضٍ حكومية، أو أراضٍ باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرها، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستعمرة.

وفي الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، بل وتسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غضّت الطرف، بل وشجعت سرّاً تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها مع اندلاع حرب 1948 أكثر من 70 ألف مقاتل (64 ألف مقاتل من الهاجاناه Haganah، و5 آلاف من الإرجون Irgun، وألفين من شتيرن Stern... وغيرها)، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة عندما دخلت في حرب 1948!! وأسس اليهود الوكالة اليهودية Jewish Agency سنة 1929، والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت أشبه بدولة داخل دولة لما تمتعت به من صلاحيات واسعة. وأقام اليهود مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة، شكلّت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة، فتأسس اتحاد العمال (الهستدروت Histadrut) وافتتحت الجامعة العبرية بالقدس سنة 1925...[3]. وهكذا، فإن الظلم والقهر والمحاباة كان السمة الأبرز للاستعمار البريطاني لفلسطين.

• جنود الهاجاناه، 1948

ثانياً: ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية:

وبالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من وقوع البلاد العربية من حولهم، والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت سطوة الاستعمار ونفوذه، وبالرغم من ضعف إمكاناتهم المادية، وانعدام أدوات الضغط والنفوذ السياسي لديهم، مقارنة بما حظي به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، بالرغم من ذلك كله، فإن التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كلّف الثمن، كانت السمة الأبرز لنشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الاحتلال البريطاني. وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة أبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لما يتضمنه من ظلم وإجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.
- إيقاف الهجرة اليهودية.
- وقف بيع الأراضي لليهود.
- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان (مجلس تشريعي) يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة، تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

• موسى كاظم الحسيني

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية، وأقام الفلسطينيون مؤتمرهم الأول (المؤتمر العربي الفلسطيني 1/27–1919/2/10) في القدس، فرفض تقسيم بلاد الشام وفق المصالح الاستعمارية، وعدَّ فلسطين جزءاً من سورية (بلاد الشام)، وطالب باستقلال سورية ضمن الوحدة العربية، وتشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين، وقد عقد الفلسطينيون سبعة مؤتمرات من هذا النوع حتى سنة 1928. وبرز في قيادة الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسى كاظم الحسيني الذي استمر في الزعامة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في آذار/ مارس 1934. غير أنه من

• الحاج أمين الحسيني

الناحية الفعلية برز اسم الحاج أمين الحسيني، الذي أصبح مفتي القدس سنة 1921، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى منذ تأسيسه سنة 1922، والذي غدا أهم قلعة للحركة الوطنية والقوة الدافعة خلفها. وبوفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح الحاج أمين زعيم فلسطين دون منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني سنة 1948.

الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1929:

ركزت الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصاً خلال الفترة 1918–1929 على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني، ومحاولة إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور، وقد كان ما يزال لديها بقايا أملٍ في ذلك، خصوصاً وأن البريطانيين كانوا حلفاء الشريف حسين خلال الحرب العالمية الأولى، كما أن المشروع الصهيوني لم يكن قد حقق بعد أيّ نتائج عملية ذات أبعاد خطيرة على الوضع في فلسطين. هذا، بالإضافة إلى أن القيادة الفلسطينية لم تكن ترى أن الفلسطينيين يملكون الوسائل البديلة المكافئة التي تمكنهم من فرض إرادتهم على البريطانيين. كما أن القيادة نفسها لم تكن تملك العزيمة والإرادة والتماسك لتحدي البريطانيين بوسائل أكثر عنفاً. ولعبت قلة الخبرة السياسية، والتنافس العائلي على القيادة (الحسينية والنشاشيبية)، والذي أسهم البريطانيون في تأجيجه، دورها في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية. غير أن هذا لم يؤثر بشكل عام على الموقف المبدئي الفلسطيني من المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني، ومن المطالب السياسية العامة للحركة الوطنية.

• ونستون تشرشل

ومن الناحية السياسية، أرسلت القيادة الفلسطينية وفدها الأول إلى لندن في تموز/ يوليو 1921، الذي التقى وزير المستعمرات ونستون تشرشل Winston Churchill وعدداً من المسؤولين، لكن جهوده لم تلقَ

آذاناً صاغية من الحكومة البريطانية، وإن كان نجح في دفع مجلس اللوردات البريطاني بإصدار قرار برفض وعد بلفور. ومن جهة أخرى، أفشل الفلسطينيون محاولة بريطانية لتشكيل مجلس تشريعي في فلسطين سنة 1923 منزوع الصلاحية الفعلية، ولا يمثل بشكل صحيح سكان فلسطين. ولقيت زيارة بلفور لفلسطين سنة 1925 احتجاجات عامة، وتمت مقاطعته، ونُفذ إضراب شمل كل فلسطين. وفي المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي أقيم في 22–1922/8/25 وضع المؤتمرون ميثاقاً وطنياً أقسموا اليمين التالي على الالتزام به: "نحن ممثلي الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس، نتعهد أمام الله والتاريخ والشعب على أن نستمر في جهودنا الرامية إلى استقلال بلادنا، وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة، وسوف لا نقبل بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودية"[4].

وخلال الفترة نفسها (1918–1929) وقعت ثلاث ثورات عبّرت بشكل قوي عن الغضب الشعبي العارم من المشروع الصهيوني، غير أنها وجَّهت غضبها ضدّ اليهود، وحاولت تجنب البريطانيين (بسبب العوامل المشار إليها سابقاً)، لكن الدور الأساسي في قمع هذه الثورات كان للبريطانيين. فكانت ثورة موسم النبي موسى في 4–1920/4/10 في القدس التي أدت إلى مقتل خمسة يهود وجرح 211 آخرين، ومقتل 4 عرب وجرح 24 آخرين؛ وثورة يافا في 1–1921/5/15 التي اندلعت في يافا، وشملت أجزاء من شمال فلسطين، وأدت إلى مقتل 47 وجرح 146 يهودياً، بينما قتل 48 وجرح 73 عربياً؛ وثورة البراق التي تصاعدت أحداثها منذ 15 آب/ أغسطس واستمرت حتى 1929/9/2، وقد خاضها المسلمون دفاعاً عن حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك) ضدّ الاعتداءات اليهودية، وانتشرت الثورة في كافة أرجاء فلسطين، وأدت إلى مقتل 133 وجرح 339 يهودياً، وقتل 116 عربياً وجرح 232 آخرين. وفي الثورات الثلاث حدثت معظم إصابات اليهود على أيدي العرب، أما معظم إصابات العرب فوقعت على أيدي القوات البريطانية والشرطة. وقد كان للحاج أمين الحسيني مفتي القدس دور أساسي سرِّي في ثورة موسم النبي موسى وثورة البراق. أما القيادة السياسية الرسمية الفلسطينية فقد ظلت متمسكة بالأساليب السلمية، بل وسَعَت إلى تهدئة مشاعر الغضب واستيعابها. ومن المهم الإشارة إلى أن الثورات الثلاث قد اتخذت طابعاً إسلامياً أسهم في تأجيج المشاعر الوطنية وتفجيرها ضدّ المشروع الصهيوني[5].

الحركة الوطنية الفلسطينية 1929–1939:

كانت ثورة البراق سنة 1929 فاتحة لعقد تصاعدت فيه المقاومة الجهادية العنيفة للمشروع الصهيوني وللاستعمار البريطاني على حدّ سواء، وقد وصلت ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (1936–1939). فقد أخذت تتكرس خطورة المشروع اليهودي – الصهيوني خصوصاً إثر هجرة أكثر من 152 ألف يهودي خلال الفترة 1930–1935، مما ضاعف عدد اليهود الذين كان عددهم في منتصف سنة 1929 نحو 156 ألفاً، وكان الكثير من المهاجرين الجدد من ألمانيا، من رجال الأعمال وأصحاب الأموال والتجارة ومن العلماء المتخصصين. كما تمكن اليهود في الفترة نفسها (1930–1935) من الاستيلاء على 229 ألف دونم من الأراضي الفلسطينية. وهرّب اليهود كميات ضخمة من الأسلحة كُشفت حالتان منها في 1930/3/15، وفي 1935/10/16[6].

وتميز النصف الأول من الثلاثينيات بازدياد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع ضدّ السلطات البريطانية باعتبارها "أصل الداء، وأساس كل بلاء". وتشكلت في هذه الفترة الأحزاب الفلسطينية، وكان "حزب الاستقلال" أولها ظهوراً في آب/ أغسطس 1932، وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء ضدّ بريطانيا، لكنه ضَعُف منذ منتصف 1933. أما "الحزب العربي الفلسطيني" الذي ظهر في آذار/ مارس 1935 فقد أصبح الحزب الشعبي الأول، وحظي بدعم المفتي (الحاج أمين) وبدعم الجماهير[7]، ونشطت في الفترة نفسها جمعيات الشبان المسلمين، والحركات الكشفية. ونشأت وتطورت تنظيمات سرية عسكرية جهادية مثل حركة "الجهادية" بقيادة عز الدين القسام، و"منظمة الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني (والإشراف السرِّي للحاج أمين)، كما ظهرت مجموعات ثورية أصغر دخلت في صدامات مبكرة مع السلطة مثل "الكف الأخضر".

لقد فَقَدَ الفلسطينيون في هذه الفترة أملهم في الحصول على حقوقهم بالوسائل السلمية والقانونية، وعلَّق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلاً: "كنا ما نزال حتى سنة 1932 على شيء من الأمل، ولكنه زال مع الزمن، كل عذابنا... كل آلامنا كانت تُعدُّ بعناية، لم يكن أمامنا غير الشهادة"[8]. وأشارت مذكرة لمدير قسم المخابرات في شرطة فلسطين إلى أن "الشعور المتزايد بالسخط ضدّ الانتداب البريطاني والإدارة أصبح سائداً وسط كل الطبقات...، وأن العرب، الذين أَمِلوا بأن بريطانيا سوف تحقق لهم العدل، قد أصيبوا باليأس"[9].

• جون هوب سمبسون

وقد أسهم في تكريس القناعات المعادية لبريطانيا وانتشارها فشل مهمة الوفد العربي الفلسطيني إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني في ربيع 1930، وعدم تنفيذ توصيات جون هوب سمبسون John Hope Simpson خبير الإسكان والأراضي، الذي كلفته الحكومة البريطانية بدراسة الوضع في فلسطين، والذي استنتج بعد دراسة دقيقة أنه لا توجد أراض إضافية يمكن إعطاؤها للمهاجرين اليهود، وأوصى بخفض الهجرة اليهودية أو وقفها[10]. وزاد من تفاقم الوضع نكوص الحكومة البريطانية عن تنفيذ توجهاتها التي أعلنتها في "الكتاب الأبيض White Paper" في تشرين الأول/ أكتوبر 1930 الذي وعد بضبط الهجرة اليهودية، ثم إصدارها "الكتاب الأسود Black Paper" في شباط/ فبراير 1931 الذي أكد التزامات بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني، ومسح عملياً ما جاء في الكتاب الأبيض[11].

واستطاع أبناء فلسطين في تلك الفترة أن يجددوا البُعد العربي والإسلامي لقضية فلسطين ويُنشِّطوه. فنقلت التقارير في أيار/ مايو 1931 وجود مخطط ثوري جهادي يستهدف إنقاذ البلاد العربية وخصوصاً فلسطين وسورية، وأن الأمير شكيب أرسلان (وهو إسلامي لبناني) كان زعيم هذه الحركة، ويشترك معه في المخطط الحاج أمين الحسيني وشوكت علي الزعيم الهندي المعروف، وكان على اتصال بزعماء الحركات العربية في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر. لكن المخطط لم يُكتب له النجاح[12]. وفي 7–1931/12/17 انعقد في القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة الحاج أمين الحسيني، وبحضور مندوبين عن 22 بلداً، وتكرس فيه البعد الإسلامي لقضية فلسطين، التي أصبحت همّاً مركزياً للعالم الإسلامي، وحضره علماء وشخصيات إسلامية كبرى مثل الشيخ محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي الشاعر محمد إقبال، والزعيم الهندي شوكت علي، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوري شكري القوتلي، ... وغيرهم. وصدرت العديد من القرارات العملية كإنشاء جامعة إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتشكيل لجان لفلسطين في مختلف البلدان...[13]،

صورة للمندوبين الذين حضروا المؤتمر الاسلامي العام في القدس من نهاية (كانون الأول) ١٩٣١ إلى بداية (كانون الثاني) ١٩٣٢ للبحث في تطور الأوضاع في فلسطين ,وهم حسب الارقام : ١- مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ٢- الزعيم الفلسطيني موسى كاظم باشا الحسيني ٣- محمد علي علوبة باشا من مصر – خلفه مولانا شوكت علي ، من كبار العلماء المسلمين في الهند معتمرا لباس رأس مميز بين مسلمي الهند ٤- محمد زبارة ، مندوب إمام اليمن يحي بن حميد الدين ٥- بشير السعداوي ٦- حمد باشا بن جازي ، أمير قبائل الحويطات في الأردن وجزيرة العرب ٧- الشيخ نعمان الأعظمي من العراق ٨- الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، عميد جامعة الأزهر في مصر ٩- رؤوف باشه ١٠- الشيخ مصطفى الغلاييني من بيروت ١١- الشيخ عبد الوهاب التجار وخلفه دون رقم الوطني الفلسطيني إسعاف النشاشيبي ١٢- الشيخ ابراهيم اطفيش من الجزائر ١٣- محمد طارق ١٤- العلامة الإمام محمد رشيد رضا من طرابلس ، لبنان ١٥- أبو الحسن ١٦- عبدالقهار مذكر من أندونيسيا ١٧- الشيخ محمد تفاحة ١٨- الشيخ سعيد الخطيب ١٩- الحاج مصطفى رجب من مصر ٢٠- حامد المليجي مندوب جريدة البلاغ من القاهرة .

• محمد رشيد رضا

• محمد إقبال

• شوكت علي

• عبد العزيز الثعالبي

• ضياء الدين الطبطبائي

• شكري القوتلي

لكن وقوع معظم بلدان العالم الإسلامي تحت الاستعمار، وإصرار البريطانيين على إفشال أي من المشاريع العملية أدى إلى تعطيل العمل بمعظم هذه القرارات. وتزايد دور علماء المسلمين الفلسطينيين بانعقاد مؤتمرهم الأول في 1935/1/25، وإصدارهم فتوى بتحريم بيع الأرض لليهود، وتكفير من يرتكب ذلك، ثم قيامهم بحملة توعية كبرى في فلسطين[14].

ومن جهة أخرى، فإن المقاومة الجهادية تمثلت في البداية في منظمة الكف الأخضر، التي ظهرت إثر ثورة البراق في شمال فلسطين بزعامة أحمد طافش، وقامت بعمليات ضدّ اليهود والبريطانيين، لكن الحملة البريطانية المكثفة ضدها أدت إلى القضاء عليها في شباط/ فبراير 1930، والقبض على زعيمها[15].

• الاحتلال يقمع المظاهرات في أحداث تشرين الأول/ أكتوبر 1933

وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1933 صعّدت القيادة السياسية الفلسطينية معارضتها، وأقامت مظاهرتين كبيرتين في القدس في 10/13، وفي يافا في 10/27، شارك فيها الزعماء بأنفسهم، وانطلقت المظاهرة الأولى من المسجد الأقصى، أما الثانية فانطلقت بعد صلاة الجمعة من يافا، وأضربت فلسطين في هذين اليومين، وحاولت السلطات منع المظاهرات بالقوة، مما أدى إلى مقتل 35 وجرح 255 عربياً. وقد اتسعت المظاهرات وزادت عنفاً في حيفا والقدس ونابلس وبئر السبع واللد وغيرها؛ مما أدى لسقوط المزيد من الضحايا، وأضربت فلسطين مدة سبعة أيام. واعتقلت السلطات البريطانية 12 زعيماً فلسطينياً، بينهم ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية، وأصيب موسى كاظم الحسيني في أثناء مظاهرة يافا بكدمات أغمي عليه على إثرها، وذُكر أنه توفي في آذار/ مارس 1934 متأثراً بهذه الإصابة، وهو في الـ 81 من عمره[16].

• الشيخ عز الدين القسام

أما حركة الجهادية فقد أسسها الشيخ عز الدين القسام، وتعود بجذورها إلى سنة 1925. وهي حركة سرية جهادية، اتخذت الإسلام منهجاً، وكان شعارها "هذا جهاد، نصر أو استشهاد" وانتشرت في شمال فلسطين، خصوصاً بين العمال والفلاحين، وأمكن لها تنظيم 200 رجل، بالإضافة إلى 800 من الأنصار. وقامت سرّاً بالمشاركة الجهادية في ثورة البراق، ثم نفذت بعض العمليات خلال النصف الأول من الثلاثينيات، لكنها أعلنت عن نفسها ونزلت إلى الميدان في تشرين الثاني/ نوفمبر 1935، واستشهد الشيخ القسام واثنان من رفاقه في أول مواجهة مع الشرطة في معركة أحراش يعبد في 1935/11/20. ولم تكن هذه نهاية الحركة، فقد تولى القيادة الشيخ فرحان السعدي. وكان لها دور رائد عظيم في الثورة الكبرى (1936–1939)[17].

• عبد القادر الحسيني

أما منظمة الجهاد المقدس فقد اصطبغت بصبغة إسلامية وطنية، ولقيت رعاية الحاج أمين، وتركز تنظيمها في القدس، بقيادة عبد القادر الحسيني، ووصل عدد أفرادها سنة 1935 إلى 400 عضو[18]. وشاركت في الثورة الكبرى في قيادة العمل في مناطق القدس والخليل.

ثالثاً: الثورة الفلسطينية الكبرى 1936–1939:

كانت الثورة الكبرى من أعظم الثورات في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر. وقد تفجرت في 1936/4/15 على يد مجموعة قسامية بقيادة الشيخ فرحان السعدي، قامت بقتل اثنين من اليهود. ثم تفاعلت الأحداث، وحصلت ردود فعل غاضبة متبادلة بين العرب واليهود، وأعلن أبناء فلسطين الإضراب العام في 20 نيسان/ أبريل، وتمّ توحيد

• الثورة الفلسطينية 1936–1939

الأحزاب العربية، وتشكيل اللجنة العربية العليا (التي تولى رئاستها الحاج أمين الحسيني بنفسه) في 25 نيسان/ أبريل، وقامت اللجنة بالإعلان عن الإصرار على الاستمرار في الإضراب حتى تحقيق المطالب الفلسطينية في إنشاء حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان منتخب، ووقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي لليهود. واستمر الإضراب 178 يوماً (نحو ستة أشهر) ليكون **أطول إضراب في التاريخ يقوم به شعب بأكمله**. ورافق الإضراب ثورة عارمة عمّت كل فلسطين، ولم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة إلا في 1936/10/12، بناء على نداء ملوك وأمراء العرب، وتهيئة لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية (لجنة بيل Peel Commission) لتدرس الوضع وتقدم توصياتها. وقد صدرت توصيات هذه اللجنة في مطلع تموز/ يوليو 1937، واقترحت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود. وقد أدى ذلك إلى تأجيج مشاعر الثورة من جديد، وكانت علامة بدئها الفاصلة اغتيال القساميين للحاكم البريطاني لواء الجليل لويس أندروز Louis Andrews في 1937/9/26. وقامت السلطات البريطانية بإجراءات قمعية هائلة، وحلَّت المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة العربية العليا واللجان القومية، وحاولت اعتقال الحاج أمين الذي تمكن من الهرب إلى لبنان في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 1937، حيث تولى قيادة الثورة من هناك، لكنها نجحت في اعتقال أربعة من أعضاء اللجنة العربية العليا، وأبعدتهم إلى جزر سيشل Seychelles.

• اللجنة العربية العليا

وقد وصلت الثورة إلى قمتها في صيف 1938، ونجح الثوار في السيطرة على الريف الفلسطيني وقُراه، وتمكنوا من احتلال عدد من المدن لفترات محدودة، وانهارت السلطة المدنية البريطانية. ولو أن الأمر اقتصر فقط على مواجهة بين شعب محتل وسلطة مستعمِرة، لربما أدى الأمر إلى انسحابها وإعطاء الشعب حقوقه. ولكن وجود الطرف اليهودي – الصهيوني ونفوذه، وطبيعة مشروعه، كانت تضغط دائماً لمزيد من المكابرة والعناد عند البريطانيين. وقد اضطرت السلطات البريطانية إلى إرسال تعزيزات عسكرية ضخمة، يقودها أفضل قادة بريطانيا العسكريين أمثال ديل Dill، وويفل Wavell، وهيننج Haining، ومونتجمري Montgomery. وقامت بإعادة احتلال فلسطين قرية قرية، مستخدمة كل وسائل التنكيل والدمار، وأحدث ما توصلت إليه أكبر قوة عظمى في ذلك الزمان. واستشهد كثير من قادة الثورة أمثال فرحان السعدي، ومحمد الصالح الحمد، وعبد الرحيم الحاج محمد، ويوسف أبو درة[19]. ولذلك فقد عانت الثورة من حالة من التراجع

• مشروع لجنة بيل 1937

مترجم عن الأصل، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – القدس.

• فرحان السعدي

• محمد الصالح الحمد

• يوسف أبو درة

والضعف خصوصاً منذ نيسان/ أبريل 1939. غير أن جذوة الثورة استمرت بالانطفاء التدريجي حتى أواخر سنة 1939. وحسب الإحصائيات البريطانية فإن مجموع العمليات التي قام بها الثوار خلال فترة 1936–1939 كانت كما يلي[20]:

السنة	1936	1937	1938	1939
مجموع العمليات	4,076	598	4,969	952

ذكرت المصادر البريطانية أنه قُتل في المرحلة الأولى من الثورة من اليهود 80 وجرح 288، وقتل من الجيش والشرطة البريطانية 35 وجرح 164، فيما قتل من العرب 193 وجرح 803. وحسب محمد عزة دروزة فإن عدد قتلى العرب زاد عن 750 وعدد الجرحى زاد عن 1,500. أما في المرحلة الثانية فحسب دروزة فإن إصابات اليهود كانت نحو 1,500، ربعهم إن لم يكن ثلثهم من القتلى، وهو قريب من الإحصائيات الرسمية اليهودية، وقَدَّر الإصابات في الجيش والشرطة البريطانية بـ 1,800 قتيل وجريح، بينما قَدَّر قتلى العرب بـ 3 آلاف وجرحاهم بـ 7 آلاف[21].

• عبد الرحيم الحاج محمد يقود فريقاً من المجاهدين؛ وفي الزاوية العليا صورة شخصية له

• تفجير قطار في أحد عمليات المجاهدين في ثورة 1936–1939

ومن جهة أخرى، حاولت بريطانيا إيجاد مخرج سياسي، بينما كانت تقوم بسحق الثورة، فقامت بإلغاء مشروع تقسيم فلسطين، وأفرجت عن معتقلي سيشل، ودعت إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، بحيث تحضره وفود تمثل الفلسطينيين واليهود وعدداً من البلاد العربية. وقد فشل المؤتمر الذي انعقد في شباط/ فبراير 1939، في الوصول إلى نتيجة محددة. وهذا مهّد الطريق أمام البريطانيين ليعلنوا وحدهم الحل الذي يرتأونه، والذين قالوا إنهم سينفذونه بغض النظر عن رضى الطرفين. فأصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في أيار/ مايو 1939، الذي شكّل إلى حدّ ما نصراً سياسياً للفلسطينيين، فقد أقرت بريطانيا بشكل حاسم أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن ما تريده هو دولة فلسطينية مستقلة، يقتسم فيها العرب واليهود السلطة الحكومية. وأعلنت بريطانيا سعيها إلى إنشاء دولة فلسطينية خلال عشر سنوات، وأن الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة لن تزيد عن 75 ألفاً، وبعد ذلك تُمنع إلا بإذن من العرب، وقررت حظر بيع الأراضي في بعض مناطق فلسطين، بينما يكون مقيداً في مناطق أخرى. ولم توافق معظم القيادة الفلسطينية على المشروع البريطاني؛ لشكِّها أساساً في الوعود والنوايا البريطانية، ولأنه ربط استقلال فلسطين بموافقة اليهود وتعاونهم، كما أنه لم يَعِد بإصدار عفو عام عن الثوار، أو المصالحة مع زعيم فلسطين الحاج أمين. وفوق ذلك فإن الفلسطينيين رأوا أنه ليس من الحكمة الموافقة المبكرة على المشروع الذي يتضمن بعض التنازلات، وما دامت بريطانيا مصرّة على تنفيذه على أي حال، فإن الزمن كفيل بكشف مدى جديتها. كما عارض اليهود بقوة وعنف المشروع البريطاني[22].

رابعاً: التطورات السياسية 1939–1947:

وخلال الفترة 1939–1945 وقعت الحرب العالمية الثانية، ودخل الفلسطينيون تلك الفترة وقد أنهكت قواهم، وتشتت قيادتهم السياسية نتيجة الثورة، واضطر الحاج أمين أن يهرب إلى العراق في تشرين الأول/ أكتوبر 1939، ثم هرب إلى إيران وتركيا ثم إلى ألمانيا التي وصلها في تشرين الثاني/ نوفمبر 1941، بعد أن سقط الحكم الوطني المعادي لبريطانيا في العراق، الذي كان للحاج أمين دور رئيسي في إقامته. وهناك لم يجد بُدّاً من

التعاون مع الألمان أعداء الإنجليز، في سبيل نَيْل العرب لحقوقهم، وتمّ إعداد مسودة تصريح تضمن تقديم دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) كل مساعدة ممكنة للبلدان العربية التي تحتلها وتسيطر عليها بريطانيا، والاعتراف باستقلالها، والمساعدة في القضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي. غير أن الألمان أصرُّوا على عدم إصدار التصريح إلا بعد وصول القوات الألمانية إلى منطقة القوقاز.

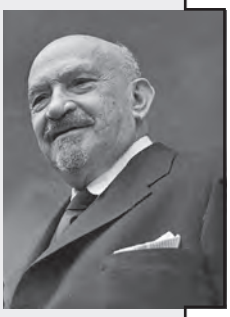

حاييم وايزمان

إيفان مايسكي

في لقاء سري مع السفير السوفييتي في لندن إيفان مايسكي Ivan Maisky في شباط/ فبراير 1941، عرض رئيس الحركة الصهيونية حاييم وايزمان Chaim Weizmann تهجير مليون فلسطيني من أرضهم من أجل إحضار 4–5 ملايين يهودي من شرق أوروبا مكانهم، وأرسل السفير تقريراً بذلك، حفظته الخارجية الروسية في أرشيفها، إلى أن كشفته جريدة يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth الإسرائيلية في أيار/ مايو 1993، ونشرته جريدة القدس، وكذلك الرأي الأردنية في 1993/5/29.

وعلى أي حال، فإن الحاج أمين استفاد عملياً من وجوده هناك في السعي لتكوين جيش عربي مدرَّب على يد الألمان من الجنسيات العربية، وقد تدرب بالفعل مئات الشبان العرب ضمن هذا الجيش الذي أعلن رسمياً عن إنشائه في 1943/11/2، ومدَّه الألمان بالكثير من الأسلحة الخفيفة والذخائر، وخُبِّئ في ليبيا نحو 30 ألف قطعة سلاح لاستخدامها مستقبلاً[23]. لكن انتصار البريطانيين وحلفائهم في الحرب، وضع الفلسطينيين وقيادتهم في حالٍ أكثر صعوبة. وقبض الفرنسيون على الحاج أمين، لكنه ما لبث أن استطاع الهرب في حزيران/ يونيو 1946، ووصل فجأة إلى مصر، وعمَّت فلسطين الأفراح "فأقيمت الزينات في طول البلاد وعرضها، وتألفت المواكب، وشمل الناس سرور عظيم"[24] مما دلَّ على الشعبية الهائلة التي ما زال المفتي يتمتع بها.

وتألفت الهيئة العربية العليا لفلسطين في 1946/6/12 بقرار من جامعة الدول العربية، وعندما عاد الحاج أمين تولى رئاستها، وأصبحت الهيئة الرسمية الممثلة للفلسطينيين. لكن مشاكل الحاج أمين مع حكومتي الأردن والعراق أضعفت قدرته على العمل والمناورة، هذا بالإضافة إلى وجوده في مصر التي كانت ما تزال تحت بعض أشكال النفوذ البريطاني.

ومن جهة أخرى، استغلت الحركة الصهيونية ما حدث لليهود خلال الحرب العالمية الثانية استغلالاً كبيراً، وسعوا إلى المبالغة وتهويل ما حدث لهم في ألمانيا وأوروبا الشرقية، كسباً للعواطف والأنصار، مؤكدين أنه لا يوجد مكان آمن لحمايتهم، وأنه لا بديل لنجاتهم سوى إقامة وطنهم القومي في فلسطين. وحوَّلت الحركة الصهيونية مركز تركيزها إلى القوة العظمى الصاعدة الولايات المتحدة، خصوصاً منذ مؤتمر بلتمور Biltmore سنة 1942، وحصلوا على دعم الحزبين الجمهوري والديموقراطي بإلغاء الكتاب البريطاني الأبيض في أيار/ مايو 1939. وعندما صعد هاري ترومان Harry Truman لسدة الحكم أظهر عطفاً أكبر على الصهيونية، وطلب في 1945/8/31 من كليمنت أتلي Clement Attlee رئيس وزراء بريطانيا إدخال 100 ألف يهودي إلى فلسطين. وسعى اليهود إلى تجهيز أنفسهم عسكرياً، وشارك 26 ألفاً من يهود فلسطين في الوحدات اليهودية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية، وكان معظمهم أعضاء في منظمة الهاجاناه، حيث استفادوا خبرة عسكرية، جعلتهم نواة الدولة اليهودية المنتظرة. وهاجر إلى فلسطين خلال الفترة 1939–1945 نحو 92 ألف يهودي، كما تمكَّن 61 ألفاً آخرين من الهجرة خلال الفترة 1946–1948، وحاز اليهود خلال الفترة 1939–1947 على نحو 270 ألف دونم من الأراضي، وأنشأوا 73 مستعمرة جديدة خلال الفترة 1940–1948. وفي جوّ من الضغط اليهودي – الأمريكي، والضعف العربي، قام البريطانيون بالتخلي رسمياً عن

• هاري ترومان

• كليمنت أتلي

• ارنست بيفن

الكتاب الأبيض في البيان الذي أصدره وزير الخارجية ارنست بيفن Ernest Bevin في 1945/11/13. ودعا البيان أيضاً إلى تشكيل لجنة إنجلو–أمريكية للتحقيق في قضية فلسطين، وتقديم توصياتها، مما أدخل الأمريكان بشكل مباشر في القضية، وقد أوصت اللجنة سنة 1946 بهجرة 100 ألف يهودي، وبحرية انتقال الأراضي وبيعها لليهود[25].

رفضت الجماعات الصهيونية في فلسطين الكتاب الأبيض البريطاني وبدأت حملة هجمات على الانتداب البريطاني والمدنيين العرب. لكنها بالمقابل لم يكن أمام الحركة الصهيونية خيار سوى الوقوف مع البريطانيين ضدّ ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية التي اندلعت في أيلول/ سبتمبر 1939. وقد أعلن رئيس الوكالة اليهودية ديفيد بن جوريون David Ben-Gurion "سنحارب الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب، وسنخوض الحرب كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض".

وفي 1944/2/1، أعلن التنظيم الصهيوني المتشدد إرجون الثورة على الانتداب البريطاني، وقد بلغ الإرهاب الصهيوني ذروته عندما نفذ الإرجون هجوماً في 1946/7/22 على المقر الإداري البريطاني لفلسطين الذي كان يقع في فندق الملك داود في القدس. أسفر عن الهجوم مقتل 91 شخصاً وأصيب 46 بجروح. وكان من بين القتلى 21 مسؤولاً حكومياً من الدرجة الأولى، 41 عربياً، و28 بريطانياً، و17 يهودياً. وقد كان قائد الإرجون مناحيم بيجن Menachem Begin، الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء "إسرائيل"، وحصل على جائزة نوبل للسلام Nobel Peace Prize سنة 1979.

وبشكل عام، لم يتخذ البريطانيون إجراءات حقيقية صارمة لمواجهة المنظمات الإرهابية الصهيونية، مقارنة بتلك الحملات الوحشية التي اتخذوها ضدّ الثورات الفلسطينية.

واتخذت قضية فلسطين بُعداً دولياً عندما طلبت بريطانيا من الأمم المتحدة في 1947/4/2 إدراج القضية ضمن جدول أعمالها. ثم تشكلت لجنة تحقيق دولية خاصة

بفلسطين (انسكوب UNSCOP) لدراسة الوضع وتقديم تقرير عنه. وقد انتهت من وضع تقريرها في 1947/8/31، ونصّت توصياتها المتحيزة على:

- إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.
- تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربية ويهودية، مع وضع القدس تحت وصاية دولية[26].

وفي مؤتمر صوفر في 1947/9/6، وعاليه في 7–1947/10/15، قررت الدول العربية مقاومة اقتراحات اللجنة الدولية، وتقديم المعونة من رجال وسلاح لأهل فلسطين، واتخاذ "احتياطات عسكرية"، وتنظيم العمل العسكري.

"إن مطالبة الصهاينة بدولة يهودية كان يتعارض بشكل تام مع كل مبادئ القانون الدولي والتاريخ الحديث".

> ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية 1956–1968 في مقاله:

Nahum Goldman, "The Psychology of Middle East Peace," *Foreign Affairs* magazine, October 1975, pp. 113–114.

وفي 1947/11/29 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة UN General Assembly (GA) قرارها المشؤوم رقم 181 بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وحاز أغلبية الثلثين بضغط أمريكي ودعم روسي قوي. وأعطى القرار 54.7% من أرض فلسطين للدولة اليهودية (14,400 كم^2)، و44.8% للدولة العربية (11,780 كم^2) ونحو 0.5% لمنطقة القدس.

ولم تكن القوى الكبرى تملك أغلبية الثلثين، وكاد في يوم 26 تشرين الثاني/ نوفمبر أن يحدث تصويت، ولو تمّ لسقط مشروع التقسيم، لكن رئيس الجمعية مندوب البرازيل أجَّل الجلسة. وقام اليهود والأمريكان بحملة محمومة نجحت بمختلف الوسائل في زيادة الأصوات المؤيدة، فقد استلمت زوجات ممثلي أمريكا اللاتينية هدايا كثيرة معظمها

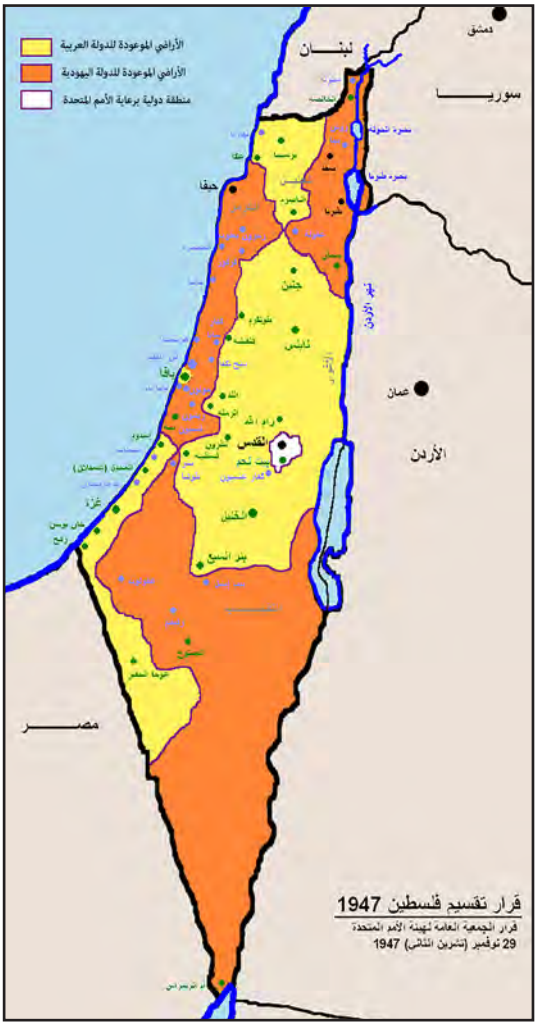

ألماس ومعاطف فَرْو ثمينة. وأَمَرت حكومة هايتي، التي كانت قد صوتت ضدّ التقسيم، مندوبها بالتصويت معه، بعد أن وعدتها أمريكا بالمساعدة الاقتصادية. واستخدم رجل الأعمال الأمريكي روبرت ناثان Robert Nathan نفوذه الاقتصادي لشراء صوت جواتيمالا، وهدّدت شركة فايرستون ليبيريا اقتصادياً إن لم تتحول من الامتناع إلى التأييد، وتعرضت الفليبين لضغوط شديدة، وتدخل رئيس جمهوريتها، فأمر مندوبه بالموافقة على القرار. ووفق هذه الألعاب القذرة تمّ تقرير مصير أحد أقدس وأطهر البقع في الأرض. تُرى ما هو المنطق في أن يتقرر مصير شعب مسلم وأرض مقدسة بناء على أن زوجة فلان من أمريكا اللاتينية حصلت على طقم ألماس أو معطف فرو!! أو لأن ليبيريا تخشى نفوذ شركة أمريكية!! وفي يوم 1947/11/29 فاز قرار التقسيم بأغلبية 33 مقابل 13 وامتناع 10.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن قرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة، حتى ضمن مواثيق الأمم المتحدة نفسها. والقرار نفسه مخالف للأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة من حقوق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ثم إن شعب فلسطين المعنِيّ أساساً بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاؤه. هذا، بالإضافة إلى الظلم الفاضح الذي تضمنته تفصيلات القرار من إعطاء نحو 55%

من أرض فلسطين لأقلية يهودية دخيلة مهاجرة تمثل 31.7% من السكان ولا تملك أكثر من 6% من الأرض.

تطور أعداد السكان في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

السنة	العرب		اليهود	
	العدد	النسبة (%)	العدد	النسبة (%)
1918	600,000	91.6	55,000	8.4
1948	1,390,000	68.3	646,000	31.7

تطور نسبة ملكية الأراضي في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

السنة	العرب (%)	اليهود (%)
1918	98	2
1948	94	6

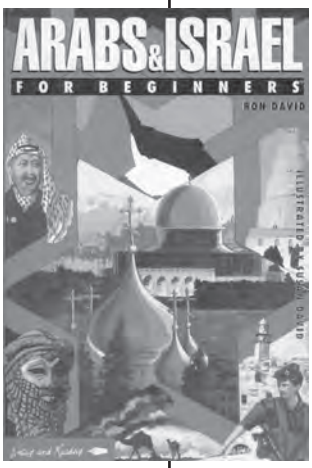

"أريد عدداً قليلاً من اليهود الأمريكيين المشهورين، خصوصاً أولئك الذين أحترمهم. والذين علموني كل شيء، أريدهم أن يقفوا ويقولوا لنترك الكذب على العالم وعلى أنفسنا، لقد سرقنا فلسطين، لقد سرقناها. حتى لو أعطينا الفلسطينيين حكماً ذاتياً، أو تقرير مصير، أو الضفة الغربية، أو دولة فلسطينية، فإننا لا زلنا نسرق معظم أرضهم، فلنبدأ على الأقل بقول الحقيقة".

> الكاتب اليهودي رون ديفيد Ron David، كتاب **العرب وإسرائيل للمبتدئين** *Arabs & Israel for Beginners*، 1993، ص 210.

خامساً: حرب 1948 وانعكاساتها:

وقد اندلعت الحرب فَوْر صدور قرار التقسيم، وتحمل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستة الأولى، بمساعدة عدد محدود من المتطوعين، إذ رفضت الدول العربية إرسال جيوشها إلى أن تخرج بريطانيا في 1948/5/15. وشكّل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية "جيش الإنقاذ" من متطوعي البلاد العربية والإسلامية. وقد عانى أبناء فلسطين من هزالة الدعم العربي بالسلاح والعتاد لدرجة مأساوية، ومع ذلك تمكنوا من إثارة قلق اليهود ورعبهم فترة طويلة، ووصل الأمر بالولايات المتحدة للتفكير الجدي بالتراجع عن فكرة التقسيم في آذار/ مارس 1948. وحتى دخول الجيوش العربية، تمكن الفلسطينيون من المحافظة على نحو 80% من أرض فلسطين بالرغم من النقص المريع في كل شيء قياساً باليهود، وبالرغم من تعاون البريطانيين، في أثناء انسحابهم، مع اليهود.

وقد مثّل دخول الجيوش العربية السبعة قصة مأساة أخرى، فلم يزد عدد مقاتليها مجتمعة عن 24 ألفاً مقابل أكثر من 70 ألف يهودي، وعانت من ضعف التنسيق بينها، وجهلها بالأرض، ومن أسلحتها القديمة والفاسدة، وشغل بعضها أنفسهم بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم، كما عانى بعضها من سوء قياداته، بالإضافة إلى أن أحد هذه الجيوش كان بين ضباطه الخمسين الكبار 45 بريطانياً. وبالإضافة إلى

الاستقلال الحديث لبعض الدول العربية، وقلة خبرة جيوشها، فإن بعض هذه الدول كان ما يزال عملياً تحت النفوذ الاستعماري البريطاني[27]. والجدول التالي يوضح ميزان القوة العسكرية العددية بين الطرفين العربي والصهيوني:

	القوات العربية (بالألف)	القوات اليهودية (بالألف)
مرحلة ما قبل دخول الجيوش العربية (كانون الأول/ ديسمبر 1947 – أيار/ مايو 1948)	12	60
المرحلة الأولى من القتال (عند دخول الجيوش العربية)	21	67
المرحلة الثانية من القتال (عند نهايات الحرب)	40	106

لقد كانت حماسة أبناء فلسطين وأبناء الشعوب العربية والإسلامية هائلة نحو الجهاد والبذل والتضحية، ولكن القيادات السياسية والجيوش كانت عامل إحباط وفشل كبير.

وعلى سبيل المثال فقد شارك الإخوان المسلمون في مصر بجهود كبيرة لإنقاذ فلسطين، وتطوع الشهيد حسن البنا في تشرين الأول/ أكتوبر 1947 بدماء عشرة آلاف من الإخوان كدفعة أولى للمعركة. لكن الحكومة المصرية ضيّقت الخناق عليهم، ومنعتهم من السفر إلا بشكل محدود جداً. ومع ذلك فإن المئات الذين استطاعوا المشاركة في المعارك، وقاموا فيها بأدوار بطولية، كان مصيرهم الاعتقال والسجن قبل عودتهم إلى مصر، وتمّ حلُّ جماعة الإخوان المسلمين قبل أن تنتهي المعارك في كانون الأول/ ديسمبر 1948، وقامت المخابرات المصرية باغتيال حسن البنا نفسه في 1949/2/11، قبيل توقيعها اتفاقية الهدنة مع الكيان

• الشيخ حسن البنا

الصهيوني. كما شارك الإخوان المسلمون من الأردن وسورية والعراق ليمثلوا صورة وضيئة للاندفاع الشعبي للتضحية والجهاد. وهذا لا يقلل من قيمة البطولات التي قدمها الآخرون، أمثال رجال الجهاد المقدس. هذا بالإضافة إلى مشاركة الكثير من العرب في جيش الإنقاذ، بل ومشاركة نحو 250 بوسنياً في هذه الحرب دفاعاً عن فلسطين. وكان من المشاهد التي آلمت أبناء فلسطين أن تقوم بعض الجيوش العربية بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم!! كما كان من المشاهد التي آلمت الجندي العربي أن يسلّم أسلحة قديمة أو فاسدة تنفجر أحياناً في وجهه عندما يستخدمها!!

أعلنت الحركة الصهيونية "دولة إسرائيل" في مساء 1948/5/14، وتمكنت مع نهاية الحرب من هزيمة الجيوش العربية، ومن الاستيلاء على نحو 77% من أرض فلسطين. أما من الناحية الفلسطينية، فقد كانت الهيئة العربية العليا قد قررت إنشاء حكومة فلسطينية لملء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من فلسطين، وسعت لإقناع الحكومات العربية بذلك خلال أشهر آذار/ مارس، ونيسان/ أبريل والنصف الأول من أيار/ مايو 1948، ولكن دون جدوى. وفي 1948/9/23 قامت

• ديفيد بن جوريون يقرأ إعلان قيام "دولة إسرائيل"

• أحمد حلمي عبد الباقي
رئيس حكومة عموم فلسطين

الهيئة بإعلان "**حكومة عموم فلسطين**" في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. وقد أقرّت الحكومات العربية (ما عدا الأردن) ذلك واعترفت بالحكومة. وتأكيداً لشرعيتها، قامت حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا بالدعوة إلى مجلس وطني فلسطيني في غزة في 1948/10/1 برئاسة الحاج أمين. وقد أعلن المؤتمر استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة، بحدودها الدولية المتعارف عليها في أثناء الاحتلال البريطاني. ومنح المجلس الثقة لحكومة عموم فلسطين المكونة من عشرة وزراء برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي[28].

وعندما حاولت حكومة عموم فلسطين ممارسة صلاحياتها في قطاع غزة، تدخلت السلطات المصرية، فنقلت الحاج أمين الحسيني بالقوة إلى القاهرة، وأجبرت عدداً من أعضاء المجلس الوطني على مغادرة غزة إلى القاهرة. ثم ما لبثت أن أكرهت رئيس حكومة عموم فلسطين وأعضائها على الانتقال إلى مصر. ورفضت الحكومات العربية الاعتراف بالجوازات التي أصدرتها حكومة عموم فلسطين، كما تمّ حلّ قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا وإنهائها، وقامت السلطات المصرية بتعيين حاكم إداري على "المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية"، أي قطاع غزة[29].

وكان من النتائج المباشرة لحرب 1948 قيام العصابات اليهودية – الصهيونية بتشريد نحو 58% من الشعب الفلسطيني من أرضهم (شُرِّد بالقوة نحو 800 ألف من أصل مليون و390 ألفاً) إلى خارج الأرض التي أقام اليهود عليها كيانهم، بينما شرَّدوا 30 ألفاً آخرين إلى مناطق أخرى في داخل الأرض المحتلة نفسها. ودمَّر الصهاينة نحو 400 قرية كانت قائمة قبل الحرب، وارتكبوا 34 مجزرة خلال حرب 1948 بمدنيين فلسطينيين في أثناء عملية التهجير، وكان من أشهرها مذبحة دير ياسين في 1948/4/9 التي اعترف الصهاينة أنفسهم بقتلهم وذبحهم لـ 254 رجلاً وامرأة وطفلاً[30].

• تهجير الفلسطينيين سنة 1948

لم يقتصر الإرهاب الصهيوني على الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال، اغتالت العصابة الصهيونية المتشددة ليحي (شتيرن) الكونت فولك برنادوت Folke Bernadotte، الديبلوماسي السويدي والوسيط الدولي للأمم المتحدة في حرب 1948، والذي اغتيل في 1948/9/17 في أثناء أداء مهامه الرسمية. أما الذي كان مسؤولاً عن قرار اغتياله فهو زعيم حزب ليحي إسحاق شامير Yitzhak Shamir الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء "إسرائيل". وقد اعتقلت سلطات الاحتلال الإسرائيلي المتهمين، لكنه تمّ الادعاء عليهم لانتمائهم إلى جماعة إرهابية (وليس الاغتيال)، وتمّ الإفراج عنهم بعد أسبوعين[31]!!

لقد مزقت حرب 1948 النسيج الاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني، الذي وجد نفسه مشرداً في العراء، بعد أن استقر في بلاده طوال أربع آلاف وخمسمئة سنة ماضية. وكان على هذا الشعب المسلم أن يُذبح ويُدمر ليدفع ثمن حماقات الأوروبيين تجاه اليهود، وكان عليه أن يُطرد تنفيذاً لرغبات قوى الاستكبار الدولية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية، ولم يكن الصهاينة الذين بنَوْا كيانهم على بحر من دماء الفلسطينيين وآلامهم ومعاناتهم ليشعروا بالإثم أو وخز الضمير، وكان أولى بهم أن يستشعروا معاناة الآخرين، بسبب ما يدَّعونه من الظلم الذي حاق باليهود، والذي أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بسببه، ولم يكونوا قد ضمدوا جراحهم بعد من مذابح الألمان، ومن

• مذبحة دير ياسين

• تهجير الفلسطينيين سنة 1948

"لا سامية" الروس. ويعترف موشيه ديان Moshe Dayan الذي تولى مناصب رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكان عالماً بالآثار، أنه "ليست هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع لقرية عربية"[32]. إنه الإجرام المنظم مع سبق الإصرار والترصد، ولم يشفع للكيان الصهيوني أن الأمم المتحدة اتخذت أكثر من 120 قراراً حتى الآن بعودة اللاجئين إلى أرضهم، والذي وصل عددهم إلى نحو ستة ملايين و250 ألفاً من أبناء فلسطين المحتلة 1948، في سنة 2011، بالإضافة إلى أكثر من مليون آخرين من أبناء الضفة والقطاع محرومون من العودة إليهما.

• يوسف ويتز

"يجب أن يكون واضحاً فيما بيننا أنه لا مكان في هذا البلد لشعبين. فبعد أن يتم نقل العرب، ستكون البلد واسعة بما يكفي لنا. إن الحل الوحيد هو أن تكون أرض إسرائيل، أو على الأقل الجزء الغربي منها [يعني فلسطين] دون عرب... ليس هناك حلٌ آخر.

إن الفكرة الصهيونية جاءت جواباً للمشكلة اليهودية في أرض إسرائيل؛ إن التفريغ الكامل للبلد من كل غير اليهود وتسليمها للشعب اليهودي هو الحل".

> يوسف ويتز Yosef Weitz مدير قسم الاستيطان (الأرض) في الصندوق القومي اليهودي Jewish National Fund، حسبما كتب في مذكراته في 1940/12/20 و1941/3/20، والمحفوظة في الأرشيف الصهيوني المركزي (CZA) تحت رقم A246/7. نقلاً عن:

Nur Masalha, *The Expulsion of the Palestinians* (USA: Institute for Palestine Studies, 1993), pp. 131–132.

هوامش الفصل الثاني

[1] أميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عاماً** (بيروت: دار النهار للنشر، 1972)، ص 28–30.

[2] كان عدد العرب نحو 610 آلاف واليهود نحو 50–55 ألفاً.

[3] لمزيد من التفصيل حول تطور المشروع الصهيوني، انظر مثلاً: محمد سلامة النحال، **سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية**، ط 2 (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)؛ و**حرب فلسطين 1947–1948** (الرواية الإسرائيلية الرسمية) ترجمة أحمد خليفة (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 18، و26؛ وصالح أبو يصير، **مرجع سابق**، ص 465–485؛ ومحمد عبد الرؤوف سليم، **نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين: منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922–1948** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982).

[4] حول ما سبق، انظر: عبد الوهاب الكيالي، **مرجع سابق**، ص 104–105، و134–198.

[5] حول هذه الثورات الثلاث، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917–1948** (الكويت: مكتبة الفلاح، 1988)، ص 165–191.

[6] انظر: **تقرير بيل**، ص 266؛ وانظر أيضاً:

Palestine Government, *A Survey of Palestine*, prepared in Dec. 1945 & Jan. 1946 (Jerusalem: Government Printer, 1946), vol. 1, pp. 141, 185 and 224.

[7] انظر: بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 301–314؛ وكامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1939** (طرابلس (ليبيا): المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1982)، ص 517–521.

[8] زهير المارديني، **ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني** (بيروت: د.ن، 1980)، ص 77.

[9] Appreciation of Arab Feeling as Affecting Palestine, Memorandum by H.R. Rice Submitted to the Chief Secretary, Government of Palestine, 8/9/1933, Secret, Colonial Office (C.O.) 733/257/11.

[10] *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development*, by Sir J.H. Simpson, 1930, Cmd. 3686 (London: His Majesty Stationary Office, 1930), pp. 141–153.

[11] اشتهر الكتاب الأبيض باسم كتاب باسفيلد الأبيض Passfield White Paper، أما الكتاب الأسود فهو رسالة رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد R. MacDonald إلى حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقرأها في مجلس العموم البريطاني في 1931/2/13.

[12] عبد الوهاب الكيالي، **مرجع سابق**، ص 229.

[13] انظر: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص 216، و246–247، و872–873.

[14] **المرجع نفسه**، ص 294–295؛ و**وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939: من أوراق أكرم زعيتر**، أعدتها للنشر بيان الحوت، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 381–391.

[15] انظر: محسن محمد صالح، **القوات العسكرية والشرطة في فلسطين 1917–1939** (عمّان: دار النفائس، 1996)، ص 405–408.

[16] **المرجع نفسه**، ص 408–418.

[17] انظر بالتفصيل حول هذه الحركة في: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين**، ص 229–327.

[18] انظر: أميل الغوري، **مرجع سابق**، ص 232–235.

[19] حول الثورة الكبرى، انظر: عبد الوهاب الكيالي، **مرجع سابق**، ص 260–300؛ ومحسن محمد صالح، **القوات العسكرية والشرطة في فلسطين**، ص 437–618.

[20] انظر: يوسف رجب الرضيعي، **ثورة 1936 في فلسطين: دراسة عسكرية** (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982)، ص 61–62، و69، و73، و78.

[21] محمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين** (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959)، ص 43، و220.

[22] انظر: عبد الوهاب الكيالي، **مرجع سابق**، ص 300–302؛ وكامل خلة، **مرجع سابق**، ص 733–743.

[23] انظر: فلاح خالد علي، **فلسطين والانتداب البريطاني 1939–1948** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980)، ص 107–111؛ وزهير المارديني، **مرجع سابق**، ص 157–162، و171، و200–202، و241، و243.

[24] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ط 2 ([دمشق]: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1982)، ص 367.

[25] حول هذه الفقرة، انظر: فلاح علي، **مرجع سابق**، ص 141، و181، و195–197، و203–205؛ و**حرب فلسطين 1947–1948** (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص 26، و87.

[26] فلاح علي، **مرجع سابق**، ص 248–250.

[27] حول حالة الجيوش العربية وسلوكها في حرب 1948، انظر مثلاً: عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947–1951** (صيدا–بيروت: المكتبة العصرية، 1954)، ج 2، ص 342، وج 6، ص 225؛ ومحمد عزة دروزة، **مرجع سابق**، ص 80–89. كما تحدث عن ذلك بإسهاب: صالح أبو يصير في كتابه **جهاد شعب فلسطين**.

[28] حسين أبو النمل، **قطاع غزة 1948–1967: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية** (بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1979)، ص 22–23.

[29] انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 2، ص 342–344، وج 4، ص 377–379، و556–561؛ وحسين أبو النمل، **مرجع سابق**، ص 25.

[30] انظر: إبراهيم أبو جابر، "المجتمع العربي في إسرائيل،" في جواد الحمد (محرر)، **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، سلسلة دراسات رقم 21 (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 427؛ وانظر أيضاً:

Salman Abu Sitta, *Palestinian Right to Return* (London: The Palestinian Return Center, 1999), pp. 16 and 27.

[31] Louis Farshee, Folke Bernadotte and the first Middle East roadmap, site of The Palestinian Initiative for the Promotion of Global Dialogue and Democracy (MIFTAH), 12/9/2003, http://www.miftah.org/Display.cfm?DocId=2416&CategoryId=5; As for the fact they were released two weeks later, Kati Marton noted "…not one of the hit team would ever spend a night in jail or face a court of justice" in Kati Marrton, *Death in Jerusalem : The Assassination By Jewish Extremists of the First Arab/Israeli Peacemaker* (New York: Pantheon Books, 1994), p. 151.

[32] كليفورد رايت، **حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي**، ترجمة عبد الله عريقات وعبد الله عيَّاد (عمّان: دار الناصر، 1992)، ص 85، نقلاً عن جريدة **الجارديان** *The Guardian* البريطانية في عدد 1973/11/14.

The Palestine Issue:
Historical Background and Contemporary Developments

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب تقديم صورة شاملة عن القضية الفلسطينية من خلال استعراض خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة.

ويستعرض الكتاب، بأسلوب علمي موثق وبلغة سهلة، وبشكل مُركّز ومختصر، تاريخ فلسطين في عصورها الأولى مروراً بالعهد الإسلامي، وخلفيات نشوء المشروع الصهيوني، ومرحلة الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقيام الكيان الإسرائيلي. ويدرس ظهور القضية الفلسطينية وتطورها، مسلطاً الضوء على كفاح الشعب الفلسطيني وانتفاضاته وثوراته، ودور منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها، ودور التيار الإسلامي الفلسطيني.

ويعطي الكتاب تركيزاً خاصاً على العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، ليتمكن القارئ الكريم من استجلاء الكثير من النقاط المتعلقة بالواقع المعاصر للقضية.

ويأتي الكتاب في طبعة مزيدة ومنقحة تغطي الفترة حتى سنة 2021، كما يأتي مدعماً بالصور والخرائط التوضيحية.

ويُعدُّ هذا الكتاب مصدراً مهماً للقراء الذين يريدون التَّعرف بشكل عام على القضية الفلسطينية، وإدراكها بشكل علمي متوازن، وبما يُشكّل مدخلاً لمن يحب بعد ذلك الدخول في التخصص والتفصيلات.

ISBN 978-614-494-010-1
9 786144 940181

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت - لبنان
تلفون: 1803 644 1961 | تلفاكس: 1803 643 1961
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net